ŞIRNAK ÜNİVERSİTESİ

İLAHİYAT FAKÜLTESİ

DERGİSİ

2017/2

yıl: 8 cilt: VIII sayı: 17

الحاجة إلى تفسيرٍ جماعيٍّ (الأسباب والآليات)

Abdulsalam YOUSSEF*

الملخص

بسم الله الرحمان الرحيم، والحمدلله رب العالمين، وبعد:

فإن أمر التفسير جليلٌ عظيمٌ؛ فهو الرواية عن الله سبحانه، ولذا لم يكن التفسير ميسراً لكلّ أحدٍ، بل له شروطه وضوابطه التي ينبغي التسلح بها قبل الشروع فيه. وإن قراءةً سريعةً لتراجم المفسرين تُرينا الأهمية الكبيرة لهذه الشروط في هذا العمل الكبير، فالمفسرون كانوا يجمعون في شخصيتهم العلمية بين جميع العلوم الشرعية والعربية، إلى جانب العلوم الكونية والعلمية....ومع هذا فإنها – التفاسير – لم تَسلَم من الأخطاء العلمية، في جانبٍ ما أو أكثر من جانب، وهذه طبيعة الإنسان التي تأبى أن تصل به إلى الكمال. وإذا كان الأمر هكذا في السابق، فكيف بنا اليوم! في عصرٍ كَلّت فيه الهِممُ وخارت القُوى وضَعُفت العزائم، وتوجه العلماء إلى حقل التخصصات العلميةالشرعية، من فقهٍ وحديثٍ وعقيدةٍ وتفسيرٍ، وكذلك الأمر في علوم الآلة، من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ... وبقية العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم من قريبٍ أو بعيدٍ. كل هذا ونحن نشهد ثورةً علميةً كبيرةً، شملت جميع مناحي الحياة ، كانت نتاج العلوم التجريبية، سواءٌ منها مايتعلق بالإنسان أو بالكون من حوله، بما فيه من حيوانٍ ونباتٍ وجماد.

من هنا كانت الحاجة إلى تفسيرٍ تجتمع عليه العقول الكثيرة في غاية الأهمية. فالقرآن العظيم يخاطب الإنسان دائماً، وهو – القرآن - الذي لا تنقضي عجائبه أبداً. ولن يكون بمقدور عالمٍ واحدٍ الإحاطة بكل العلوم التي لها علاقة بالقرآن الكريم،هذا... إن أردنا تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، يكون نتاج العصر، ووثيقةً علميةً لمدى الفهم البشري لكتاب ربها في هذه الفترة التاريخية.

فما معنى التفسير الجماعي، ومالتخصصات التي ينبغي توفرها، وكيف هي آلية العمل؟ كل هذه الأسئلة وغيرها سوف يحاول البحث الإجابة عنها، بإذن الله سبحانه.

الكلمات الافتتاحية: التفسير، التفسير الجماعي، المؤسسي، الحاجة، جميع التخصصات

Kollektif Tefsirin Gerekliliği (Nedenleri ve İmkânı)

Özet

Hiç şüphesiz Tefsir ilmi, değerli ve büyük bir iştir. Zira bu iş, bir anlamda Yüce Allah'tan nakilde bulunmaktır. Bu sebeple tefsir, herkesin kolaylıkla başvurduğu bir alan olmamıştır. Aksine bu alana girmeden önce, elde edilmesi gereken birtakım şartlar ve kaideler mevcuttur. Müfessirlerin hayatlarına özet bir şekilde bakılması, bizlere bu önemli konuda ileri sürülen şartların ne kadar önemli olduğunu gösterecektir. Çünkü müfessirler, ilmi kişiliklerinde tabiat ve fen bilimleri yanında hem şer'i ilimleri, hem de Arapça'yla ilgili ilimleri toplamaktaydılar. Bununla birlikte tefsir kitapları, ister herhangi bir konuda ister değişik konularda ilmi hatalardan korunamadılar. Bu durum, kendisiyle mükemmele ulaşma imkânı bulunmayan insan tabiatının kaçınılmaz bir sonucudur. Geçmişte iş bu minvalde idiyse bugün

* Yrd. Doç. Dr., Mardin Artuklu Ü., İslami İlimler Fakültesi, Tefsir A. B. D.
drabdusselam99@gmail.com

nasıl olabilir ki? Hâlbuki gayretlerin azaldığı, kuvvet ve çabaların zayıfladığı öyle bir çağdayız ki âlimler fıkıh, hadis, itikad ve tefsir gibi şer'i-ilmi alanlarda uzmanlaşmaya yöneldiler. Nahiv, sarf, belağat ve Kur'an'la yakından veya uzaktan ilgisi bulunan diğer araçsal ilimler için de durum bundan farklı değildir. Tüm bunlarla birlikte bizler, deneye dayalı ilimlerin bir sonucu olan ve hayatın bütün alanlarını kapsayan büyük bir ilmi sıçrama görmekteyiz. Bu ilimler ister insanla ilgili olsun, isterse insanın yaşadığı çevrede bulunan hayvanlarla, bitkilerle ve cansızlarla ilgili olsun durum aynıdır.

İşte buradan hareketle, pek çok aklın beraberce üzerinde çalıştığı bir tefsire olan ihtiyaç kaçınılmazdır. Hem Kur'an-ı Kerim'in insanlara olan hitabı devam etmektedir ki o, enteresan yönleri bitip tükenmeyen bir kitaptır. Yanısıra tek başına bir âlimin, Kur'an'la ilgili bütün ilimleri noksansız bir şekilde öğrenip elde etmesi mümkün değildir. Öyleyse yaşadığımız asrı yansıtacak ve bu tarihi dönemeçte insan anlayışının geldiği seviyeyi gösterecek şekilde Kur'an'ın mükemmel bir tefsirini arzu ettiğimizde, kollektif bir tefsir hareketine olan ihtiyaç ortadadır.

Kollektif tefsir nedir; faydalanılması gereken alanlar hangileridir, farklı ilim dalları, tefsir işinde nasıl bir katkı sunacaktır? İşte bu çalışmada, tüm bu ve benzeri sorulara cevap verilmeye çalışılacaktır.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Kollektif Tefsir, Kurumsal Tefsir, İhtiyaç, Uzmanlık Alanları.

Need for Collective Exegesis (Tafseer) (Its Reasons and Possibility)

Abstract

Tafsir or Exegesis is a momentous field of study, as it deals with interpreting the words of God. Therefore, it is not easily practiced by everyone, since it has a number of set conditions and prerequisites before dealing with this field. A quick review of the biographies of exegetists reflects the essential importance of these prerequisites. Exegetists were well versed in a number of disciplines, theological and linguistic as well as scientific. As all human works are in their nature imperfect, there were some instances of incorrect scientific readings. If this was the case in the past, today this is more protruding, as interest and research in these fields have diminished and is more focused on specialisation in fields of theology such as jurisprudence, Hadith, creed and Tafsir as well as linguistic disciplines. This is at an age that is going through a major scientific revolution dealing with all aspects of human life as well as the universe as a whole.

Thus, it becomes essential to gather minds and efforts for this purpose, as the Quran addresses the human mind and it is a divine book that continues to astonish us with its miraculous nature. One mind of a single scholar is thus not sufficient to encompass all the disciplines related to the Quran. This is if we aspire to have a comprehensive exegesis of the Quran that would be the product of our era that would act as a scientific document of the human understanding of the divine words of God in our century. Therefore, what is collective institutional exegesis, what are the disciplines required, and what are the mechanisms needed to achieve this work. This paper aims to deal with these questions amongst others searching for an understanding of this new genre.""

المدخل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن مما يؤمن به أي مسلم أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وأنه جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولذا فإن العمل على خدمته من خلال تفسيره لم ينقطع في فترةٍ من فترات التاريخ، منذ أن نزلت أولى آياته على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وإلى أن يرث الله الأرض من عليها. ومن هنا فإن قراءة القرآن وتكرار ذلك واستنطاقه ميسر بتيسير الله سبحانه((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر))(القمر2 2) فالنص القرآني نص مفتوح يحمل دائما معاني متحركة متجددة يوافق حركة التاريخ وتحولات الفكر الإنساني، ويناسب المتغيرات الزمانية والمكانية. ولأن موضوع التفسير عظيم وخطير فقد وضع العلماء شروطا وضوابط لكل من يريد أن يتعاطى التفسير ويتدارسه، غير أن تلك الشروط لم تكن ميسرة لكل أحد أن يتمتع ويتسلح بها، والسبب هو طبيعة الإنسان التي تعجز عن درك الكمال. وإذا كانت هذه الشروط عزيزة المنال عند السابقين فإنها عند المعاصرين أعز وأصعب، كيف لا وقد توجهت الجامعات والمعاهد الشرعية نحو مسألة التخصص في علم واحد دون سائر العلوم، فنجد أحدهم قد تخصص في الفقه وآخر في التفسير وثالث في العقيدة ورابع في الحديث الشريف وخامس في البلاغة القرآنية ...ونحن نعلم تماماً أنه لا يجوز- في شأن التفسير - الفصل بين هذه العلوم والفنون، بل لابد منها جميعا أن تكون حاضرة وبقوة، فالآية الواحدة تحتاج - عند توضيحها- إلى معرفة بالقواعد الأصولية والفقهية، ومعرفةٍ بفن الرواية والدراية، وكذلك إلى علمٍ بالفنون التي تتعلق بالقرآن أو ما يصطلح على تسميته ب(علوم القرآن) من مثل الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وأسباب النزول ...وهكذا. فما العمل في مثل هذه الحالة؟ هنا جاءت فكرة هذا البحث .

إشكاليته: هل نحتاج إلى عمل جماعيٍّ -مؤسسي- لتفسير القرآن الكريم،وكيف؟

المنهج: اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي.

وأما **الهدف:** فإن البحث يهدف إلى: إبراز الحاجة إلى عملٍ مؤسسي في تفسير كتاب الله.

وشرح آلية العمل في هذا المشروع.

وقد أدرته على مقدمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة .

المقدمة: وفيها بينت أهمية الموضوع وسبب اختياره، وإشكاليته، والمنهج المتبع – كما تقدم- .

الفصل الأول: شروط التفسير، وقد جعلته في مبحثين، الأول: الشروط التي وضعها العلماء لتفسير القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تقييم تلك الشروط من خلال واقع التفاسير التي بين أيدينا.

الفصل الثاني: في دواعي التفسير الجماعي، وقد قسمته إلى مبحثين، بعد تمهيد في التعرف على المصطلح. ثم كان المبحث الأول: التجديد في التفسير، الثاني: الاتجاه التخصصي في المؤسسات الشرعية.

الفصل الثالث: في التفسير الجماعي، من خلال أربعة مباحث، الأول:التخصصات الواجب توفرها في المؤسسة. الثاني:آلية العمل. الثالث: قيمة التفسير العلمية. الرابع: المنهج المقترح في التفسير.

الخاتمة: وفيها ذكر لأهم النتائج والتوصيات .

الدراسات السابقة: على الرغم من أن الموضوع بالغ الأهمية – حسب رأيي – فإن أحداً لم يتصدَّ له – من خلال مطالعاتي الكثيرة-، ولم أر مَن كتب فيه إلا ماجاء من قِبل أحد المتخصصين في العلوم التجريبية، وهو الدكتور عبدالله المسند.[1] فقد طرح الفكرة واقترح أن تُشكل هيئة عليا للتفسير، وجاء كلامه في صفحتين. وهذا ماجعلني أتهيب الخوض في الموضوع بدايةً، غير أنه- سبحانه وتعالى- قد شرح صدري للعمل، وازددت إيمانا بضرورة عرض هذا المشروع والدعوة إلى إلقاء الأضواء عليه، فلعله يجد آذاناً صاغيةً، ثم يتحول إلى واقع عمليٍّ يتم تنفيذه فيما بعد[2]

الفصل الأول: أصول التفسير(تأريخ المسألة)

أصول التفسير: هي القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير، وتشمل ما يتعلق بالمفسر من شروطٍ وآداب، وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك...[3]

لا يوجد كتاب مستقل – قديما- باسم شروط التفسير أو قواعده، بل هو أمر حدث في العصرالحديث، غير أنها - الشروط والقواعد - جاءت متفرقة متناثرة في مقدمات التفاسير وكتب علوم القرآن، أو في ثنايا الكلام، عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. والمؤلفات التي تم استخراج جميع ما حوته من الشروط والقواعد المتعلقة بالتفسير هي:

1 وهو أستاذ مشارك في فسم الجغرافيا/ في جامعة القصيم (السعودية www.almisnid.com
هذا ما اطلعت عليه خلال إعداد هذا البحث ،ورأيته لا يغني عن بحث كامل يحاول معالجة الموضوع، وينبه على أهميته

2 هناك في بعض البلدان الإسلامية اهتمام خاص بالقرآن الكريم بمختلف المسميات، منها (كرسي القرآن) في السعودية، و(لجنة التفسير وعلوم القرآن) في مصر، وهي تهتم بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم، وجاء في إحدى إصدارات اللجنة العلمية – في مصر- :(...قرر إعادة تشكيل اللجان العلمية بالمجلس بما يتواكب مع طبيعة المرحلة، بحيث تشمل عدداً من اللجان منها لجنة التفسير وعلوم القرآن . ويأتي في مقدمة أولوياتها العمل على إخراج تفسيرٍ للقرآن يكون خالياً من الإسرائيليات والروايات الموضوعة والضعيفة، وتسهم من خلال أعضائها في نشر الفهم الصحيح لتفسير القرآن الكريم.) المصدر

3 د . فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه،الناشر مكتبة التوبة/المملكة العربية السعودية،ط1419/4 .

- الكتب المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن، ومن أهمها: تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري(310)، وفتح القدير للشوكاني(1173)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي(794) والإتقان في علوم القرآن للسيوطي(911)، ومقدمة في التفسير لابن تيمية(728) .

وأما في العصر الحديث فقد توسع العلماء في هذه الشروط، وخصصوا مساحاتٍ واسعةٍ لذكرها في مصنفاتهم، ومنها:

- مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني.

- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي.

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي.

- مباحث في علوم القرآن، صبحي صالح.

- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان.

- الكتب المتعلقة بأصول الفقه، مثل الرسالة للإمام الشافعي (204)،ولعله أول من ذكر بعض العبارات والجمل التي عُدت من شروط التفسير وضوابطه. فقد وضعه الإمام في قواعد التعامل مع الكتاب والسنة.[4] والإحكام لابن حزم(456)، والآمدي(631) والمستصفى للإمام الغزالي(505).

- الكتب المتعلقة بقواعد الفقه، مثل المنثور للزركشي .

- إضافةً إلى كتب اللغة .[5]

ولاشك أن هؤلاء الذين أودعوا كتبهم هذه القواعد قد استمدوها من فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإذن فهو اجتهاد منهم، وقد لاقت قبولا ورواجاً من علماء الأمة على مر العصور.

شروط التفسير: الشروط التي وضعها العلماء هي التي ينبغي أن يتمتع بها كل مَن يريد تفسير كتاب الله، وهي: اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد ومعرفة أسباب النزول والقراءات والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم وعلم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم.[6] ثم تطور الأمر إلى إضافة شروط أخرى، وهو أمر تابع لسنة التغيير وحركة التاريخ، فقد رأت مدرسة محمد عبده (1323) إضافة شروط وضوابط أخرى، مثل:

- علم أحوال البشر، من خلال أطوارهم وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوةٍ وضعفٍ وعزٍّ وذلٍّ وعلمٍ وجهلٍ...

- العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن.

4 مصطفى عبدالرازق، التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الكتاب العربي، القاهرة/ مصر،ط/2011 ، ص 232 .

5 قواعد التفسير، خالد السبت ، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1421/1 ، ص40 .

6 يوضحه السيوطي بقوله: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدر الإنسان .وليس كما ظننت من الإشكال ، والطريق في تحصيله ارتكاب لأسباب الموجبة له من العمل والزهد. الإتقان في علوم القرآن 4/ 216 .

- العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام وما كانوا عليه من علمٍ وعملٍ وتصرفٍ في الشؤون دنيويها وأخرويها.[7]

وعندما تقدمت العلوم واستجدت أمور لم تكن من قبل ، وهي تتعلق بالتفسير...أضاف العلماء شروطا أخرى رأوها وثيقة الصلة بموضوع التفسير لم تكن في السابق، فظهر التفسير العلمي[8](بما له وما عليه)، فكان ثمرة واقعية حتمية أنتجه المنهج التجريبي وطغيانه في الحياة، متغلباً بذلك العلوم الإنسانية.

وظهر التفسير الموضوعي الذي أخذ الأهمية الكبرى في حقل الدراسات التفسيرية [9]، وهي عبارة عن نظريات قرآنية أصيلة في مواجهة مدارس أخرى لا ترى الإسلام مرجعية لها. هذه هي الشروط التي وضعها العلماء وألزموا بها كل من تصدى لكتاب الله وتعاطاه بغية تفسيره، ثم صدرت كتب في القواعد والضوابط لتقسمها إلى ماقبل الشروع في التفسير وإلى ما يتخلله[10].

قواعد التفسير وضوابطه: ونقصد بها تلك القواعد التي ينبغي مراعاتها أثناء التفسير، فهي الضمان لعدم الوقوع في الخطأ، وصمّام الأمان في التعامل مع كتاب الله. وتُعرف بأنها: الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن ومعرفة كيفية الاستفادة منها.[11]وتتعدد المرادفات لهذه الكلمة، من مثل (الأصل) و(الضابطة)، ولا مشاحة في الاصطلاح[12].وأهم هذه القواعد:

1 - البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ملاحظا المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن الكريم.

2 - إرداف ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الإعراب والبلاغة على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية.

3 - تقديم المعنى الحقيقي على المجازي بحيث لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة.

4 - ملاحظة سبب النزول فإن لسبب النزول مدخلا كبيرا في بيان المعنى المراد .

5 - مراعاة التناسب بين السابق واللاحق بين فقرات الآية الواحدة وبين الآيات بعضها وبعض.

6 - مراعاة المقصود من سياق الكلام.

7 - مطابقة التفسير للمفسر من غير نقص ولا زيادة.

8 - مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون وسنن الاجتماع وتاريخ البشر العام وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن.

7 محمد رشيد رضا، تفسير المنار،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط 1990، 17/1 .

8 وهو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجهٍ يظهر به إعجاز القرآن .فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،إدارة البحوث العلمية، السعودية، ط1/ 1986 ، 2/ 549 .

9 وهو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق/ سوريا، ص16 .

10 انظرد. علي العبيد، أصول التفسير وضوابطه، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط2010/2، ص 95 .

11 خالد السبت ، قواعد التفسير، ص31 .

12 البركتي،محمد عميم الدين، قواعد الفقه الكبرى،دار الإفتاء،كراتشي/ باكستان،ط1/،1407 ص50 .

9 - مطابقة التفسير لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسيرته لأنه هو الشارح المعصوم للقرآن بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وشمائله وتقريراته.

10 - ختام الأمر ببيان المعنى والأحكام المستنبطة منه في حدود قوانين اللغة والشريعة والعلوم الكونية.

11 - رعاية قانون الترجيح عند الاحتمال.[13]

والسؤال الآن: هل توفرت كل هذه الشروط والضوابط في الذين قاموا بهذا العمل العظيم، أقصد التفسير؟ هذا ما سنتعرف عليه لاحقاً.

تقييم التفاسير من خلال الشروط والضوابط:

نؤكد مرة أخرى أن هذه الشروط والضوابط، وترقيمها وتعدادها مسألةٌ اجتهاديةٌ وليست توقيفية، بل إن الكثير من العبارات التي يصاغ بها الشرط تختلف من مؤلف لآخر، والسبب هو تناول ما قاله الأقدمون بكل دقةٍ، مع بعض التوضيحات والزيادات.

إن عملا عظيما وجليلا مثل التفسير يحتاج بلاشك إلى إنسان يتمتع بخصالٍ ومزايا خاصة، لا تتوفر في غيره، من علميةٍ وخلقيةٍ، فالتفسير هو الرواية عن الله - عز وجل- وأي خللٍ أو نقصٍ في هذه الخلال من شأنه أن ينعكس سلبا على التفسير في مراد الله من كلامه. ومن هنا فقد حرص العلماء على التشديد في مسألة الشروط والضوابط، وعدم التهاون مع من لايتمتع بها. بيد أننا ونحن نقرأ كل هذه التفاسير بعد أن جعلنا نصب أعيننا تلك الشروط التي وضعها العلماء ...نجد أنها في موضعٍ من المواضع، أو مسألةٍ من المسائل، أو فن من الفنون، نجده – المفسر- أنه لم يلتزم بتلك الشروط التي كان عليه ألا يتجاوزها، ولكنه تجاوزها، لأسبابٍ عدةٍ منها علمية وأخرى خُلُقية، أو تبعاً للبيئة التي يعيش فيها، أو أنه جاء من باب النسيان والغلط. ومن هنا ندرك أن التقييد بتلك الشروط جاءت من باب أخذ الحيطة والحذر الشديدين عند تفسير كتاب الله. ومن جانبٍ آخر نرى هذه التفاسير قد تنوعت في شكلها ومضمونها، فبعضها جاءت مختصرة وأخرى مطولة، ومن حيث المنهج ثمة تفاسير بالمأثور وأخرى بالرأي، وهناك من زاوج بينهما. ولا ننسَ موضوع التأثر بالبيئة، وبالميول الخاصة. فالفقيه حشا تفسيره بذكر المسائل الخلافية وفروعها، وأدلة كل مذهب، كما فعل القرطبي(627)، والنحوي ملأ تفسيره بقواعد النحو وخلافياته، والترجيح بينها، كما فعل أبو حيان(745)، والبلاغي اهتم أكثر ما اهتم بعلوم البلاغة من بيان ومعاني، كما فعل الزمخشري(538)، وصاحب النَّفَس العقلي والفلسفي استطرد كثيراً في ذكر قواعدهم ونظرياتهم من حيث الاستدلال والرد، كما فعل الرازي(606) في مفاتيح الغيب، وصاحب القصص والأساطيرأكثرَ من ذكرالقصص الغريبة وربما الإسرائيليات، كما فعل الثعلبي(875).[14]

13 ينظر في هذه الشروط والقواعد: الزركشي،أبوعبدالله بن محمد، البرهان في علوم القرآن،ت محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي ، القاهرة/مصر، ط1957/1 ،153/2 ومابعدها، السيوطي،عبدالرحمن بن أبي بكر،الإتقان في علوم القرآن،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1974/ ، 153/2 ومابعدها، الزرقاني محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،ط3/د.ت، 60./2

14 مناع القطان، مبحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر2000/3 ، ص 356

إذن يُستخلص من كل هذا أن التفسير، بمعنى الإحاطة بكل ما جاء في القرآن من سور وآيات وكلمات وأسرار، أمر نسبي بالنسبة إلى الإنسان كمرحلة زمنية مقابل غير المحدود بزمان ومكان معينين، فالتفسير يتأثر بعوامل كثيرة، من بيئة وظروف، أو زمان ومكان وسياق معينٍ، يقول سهل بن عبدالله التستري(لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهمٍ لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آيةٍ من كتاب الله؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كتابه، وإنما يُفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه)[15]. ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل المستقبل كفيل بأن تبرز وجوه جديدة أخرى من أوجه الدراسات القرآنية، وربما مناهج أخرى غير التي نعرفها الآن. فمن التفسير - كما هو معلوم- ما هو قابل للتجديد، حسب المتغيرات في كل زمان ومكان، وقد يحتاج المفسر إلى علومٍ تناسب وتتلاءم مع الواقع المعاش لتصب جميعها في مجرى بيان الآي القرأني، وليتحقق الهدف المنشود، وهو هداية الناس وإصلاحهم بكتاب ربهم، يقول الرافعي(كأنما ركب على مقادير العقول والقوى وآلات العلوم وأحوال العصر المغيبة، فتراه يتخير من الألفاظ على درجاتٍ ليس معنى العجب فيها أن يقع التخير عليها، ولكن العجب أن تستجيب ألفاظه على هذا الوجه المعجز الذي لايكون في اللغة إلا عن قدرة هي عين القدرة التي ألهمت أهلها الوضع والتعبير وتشقيق الكلام حتى حصلت لغتهم كاملةً في كل ذلك).[16]

بعد كل هذا الكلام، هل يستطيع عالمٌ واحدٌ أن يعطي القرآن حقه في التفسير من كل جوانبه ومناحيه؟ هذا ما سنتعرف عليه في الفصل التالي.

الفصل الثاني: التفسير الجماعي (المؤسسي)

المقصود بالعمل الجماعي (المؤسسي):

يُعرف العمل الجماعي (المؤسسي) بأنه: شكل من أشكال التعبير عن التعاون بين الناس، أو ما يطلق عليه العمل التعاوني، والميل إلى قبول العمل الجماعي وممارسته شكلاً ومضموناً، نصا وروحاً، وأداء العمل بشكلٍ منسّقٍ قائم على أسس ومبادئ وأركان وقيم تنظيمية محددة، ومن سماته: القرب من الموضوعية أكثر من الذاتية، وكذلك توظيف الجهود البشرية والاستفادة من شتى القدرات الإنتاجية. وكذلك يضمن العمل المؤسسي بأن جميع العاملين ملتزمون بمنظومة من القيم والمبادئ يتمحور حولها أداؤهم وسلوكهم وعلاقاتهم الوظيفية والإنسانية.[17]

وههنا نقصد بالمؤسسة المعنية بالتفسير هيئة تضم كبار العلماء، وفي مختلف الاختصاصات(الشرعية والعربية والعلمية والفلكية والإنسانية...)بقصد مدارسة القرآن معاً ومن ثّمَّ تفسيره تفسيراً كاملاً من سورة الفاتحة إلى سورةالناس.

دواعي العمل الجماعي في التفسير:

لاشك أن الدعوة إلى مشروع جماعي مؤسسي في تفسير كتاب الله له مبرراته وحاجته، فليس

15 مقدمة تفسير البسيط للواحدي(رسالة دكتوراه) المقدمة ، 30-1

16 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط9/ 1973 ، ص1973 . -

17 محمد ناجي عطية، البناء المؤسسي في المنظمات الخيرية، الواقع وآفاق التطوير. شبكة صيد الفوائد .

الأمر عبارة عن هوى في النفس، أو تلبية لرغبات خاصة، بل يخضع لمعايير وضوابط معينة.

أولاً: التجديد في التفسير:

والتجديد: من جدَّد، يجدِّد،جاء في اللسان: جدَّ الثوب والشيء يجِدُّ، بالكسر صار جديداً، وهو نقيض الخَلَق، وعليه وجِّه قول سيبويه: مِلْحفةٌ جديدةٌ.[18]

ومصطلح التجديد، بحد ذاته، ليس حادثاً في اللغة، بل له تاريخه وتأصيله، ورد ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)[19]. يقول المناوي في شرحه للحديث:(يجدد لها دينها، أي: يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم)[20].ويعرفه المودودي:(بأنه كل من أحيا معالم الدين بعد طمسها، وجدَّد حبله بعد انتقاصه)[21].وأما المعاصرون، فإنهم يتوسعون في مفهوم التجديد، يقول القرضاوي:(إن تجديد الدين بمعنى تجديد الإيمان به وتجديدالفهم له والفقه فيه، وتجديد الالتزام والعمل بأحكامه وتجديد الدعوة إليه)[22].

إذن التجديد في الدين مصطلح إسلامي غير دخيل، ولاتثير الكلمة فينا أي حفيظة، أو ردة فعلٍ، كما يتوهم البعض، بل إن التجديد في التفسير ضرورة حتمية وشرعية في آنٍ واحد.

إن تكرار القراءة للقرآن الكريم بعين التدبر ونية التعرف على خزائنه أمر واجب على العلماء، كيف والله- عز وجل - يقول:((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها) (محمد 24) ويقول: ((سنريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسهم ...)(فصلت 53) وهي صيغ -كما نرى- تدل على الديمومة والاستمرارية. ومن البدهي أن معارف الإنسان وخبراته العلمية في نمو متطور ومتكامل لا يتوقف، ومن هنا، وفي كل زمان، يكشف الإنسان حقائق جديدة عن الإنسان عن الطبيعة وما فيها، هذه المعرفة المستجدة تمنح الإنسان مستوى عقلياً ومعرفياً جديداً يؤهله لفهم الآيات فهماً مغايراً للفهم الماضي. ولذا فإن التجديد في التفسير حاجةٌ علميةٌ ملحةٌ دائماً. ونعني به إزالة ما علق بالتفسير من شوائب الأخطاء في فهمه، والتعرف على مالم يعرفه السابقون، وما أكثرَه. وكذلك وجد في التفاسير المتقدمة ما لعب دوراً سلبياً على عقول الناس جميعاً، المسلمين وغيرهم، أما المسلمون فذهبوا ينقلون للناس ما قرأوه في التفاسير بنية حسنةٍ فتقبلها الناس، وفيها ما فيها من المخاطر على العقيدة، وأما غيرهم، فقد وجدوا فيها ضالتهم المنشودة، وبثوا من خلالها سمومهم بغية النيل من مصادر العلم عند المسلمين، والغاية دائماً هي إزالة الثقة عند المسلمين تجاه كل التفاسير، ومن ثمَّ التشكيك في القرآن نفسه.

18 ابن منظور، لسان العرب، ط3/ 1414 ، بيروت، لبنان، مادة (جدد) 111/3 .

19 أخرجه أبوداود في سننه، أول كتاب الملاحم، باب ما يُذكر في قرن المئة، ت شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العلمية، ط/ 2009 ، وصححه السخاوي شمس الدين، المقصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ت محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1985/1، 1/ 203 رقم 238 .

20 زين الدين، عبدالرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، ط1/ 1356، 2/ 281(1854).

21 المودودي، أبو الأعلى، الموجز في تاريخ تجديد الدين،دار الفكر الحديث، ط2/ 1967، ص 13 .

22 القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة راشدة ،دار الشروق، القاهرة/ مصر، ط/ 2001 ، ص 31 .

ومن أدلة مشروعية التجديد في التفسير، هو ما كان يأتي في مقدمات التفاسير التي بين أيدينا، والتي كان المفسرون يصرحون بأنهم أخذوا عن غيرهم وأضافوا إليه ماعندهم. يقول البيضاوي في مقدمة تفسيره:(ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوّة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين، إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناويا أن أسميه بعد أن أتممه «بأنوار التنزيل وأسرار التأويل)[23].وهذا أبو السعود ، يتحدث عن نفسه وهو بصدد تأليف تفسيرٍ على غرار تفسيرَي الزمخشري والبيضاوي فيقول:(ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضية جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح الفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف يمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأفهام في مداحض الإقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الأوهام من خواطر الأنام في معارك أفكار يشتبه فيها الشؤون ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون وأبرز من وراء أستارِ الكمُون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن إليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز وأهديها إلى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه سلطنتها في الطول والعرض ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم...)[24]

إنها خصوصية الخطاب الإلهي الأخير للبشرية، وإلى قيام الساعة، وهو ماعناه الباقلاني بقوله:(الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بُنيت على هذه المعجزة، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرةٍ، إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقاتٍ خاصةٍ، وأحوالٍ خاصةٍ، وعلى أشخاصٍ خاصةٍ... فأما دلالة القرآن فهي عن معجزةٍ عامةٍ عمّت الثقلين وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحدٍ)[25].ويقول الرازي:(...فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على الأسرارالعجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم، حيث يراه في ظاهر الحال مقروناً بسوء الترتيب، وهو

23 البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد،أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،بيروت/ لبنان، ط1/ 1418 .ج 1/ 23 .

24 أبو السعود العمادي،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان،د. ت ، 1/ 4

25 الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن الكريم، ت السيد أحمد صقر، دار المعارف/ مصر، ط5/ 1997 ،ج 1 / 8 .

في الحقيقة مشتمل على أكمل جهات الترتيب)[26].ونختتم الأقوال بآخر المفسرين المشهورين،الطاهر ابن عاشور لينبه إلى أن المرجو من التدبر ليس الاتعاظ والامتثال فحسب، بل هو الوصول إلى معانٍ جديدةٍ لم تكن باديةً له بادئ النظر، حيث يقول:(التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلامٍ قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معانٍ لم تكن باديةً له بادئ النظر)[27].

ثانياً: التوجه الاختصاصي **في العصر الحديث:**

ليس خافياً على كل متبصرٍ أن الحركة العلمية في العصر الحديث دون غيره من العصور، فالنشأة العلمية التي يحياها العالم اليوم تختلف عن سابقاتها، يوم كانوا يحفظون القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وهم مازالوا صغاراً، إلى جانب المتون في جميع العلوم، إضافةً إلى طبيعة الحياة اليوم من عدم مقدور العالم في التفرغ للعلم. والتكنولوجيا التي ظهرت مؤخراً وما رافقها من اختراعات وإبداعات واكتشافاتٍ جعلت الإنسان يعجز عن أن يحيط بها جميعاً، بل أُجبر على التوجه إلى بعضها للتضلع فيها، والاكتفاء بمعرفةٍ إجماليةٍ فيما سواها، أو بعبارةٍ أدق التخصص في مجال العلوم التجريبية، وهذا الأمر سرى إلى العلوم النظرية أيضاً. لو قرأنا تفسيراً مثل(مفاتيح الغيب) للرازي، لحسبنا أننا أمام عالم موسوعي قد حصل نصيباً وافراً من العلم في كل الفنون(من شرعيةٍ وعربيةٍ وفلكيةٍ وجغرافية وطبيةٍ ...)، ولا شك أن لهذه العلوم ذكراً في القرآن الكريم صراحةً أو إشارةً، ولكن السؤال ههنا: هل أعطى كل العلوم حقها في البحث والتحقيق والتحرير؟ والجواب:لا، بل إن العلماء تكلموا كثيراً في ما ورد عند الرازي، ورأوا أنه أخطأ أو جانب الصواب في مواطن كثيرة، بل بالغ بعضهم في وصفه أنه حوى كل غريب وغريبة[28]؟!

وإذا قرأنا تفسير(الكشاف) للزمخشري و(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي، وغيرهما... لرأيناهم جميعاً يذكرون رواياتٍ ضعيفةٍ وأخرى موضوعة[29]، وقد وقفنا قبل الآن عند شروط التفسير ومنها: العلم بالحديث روايةً ودرايةً. وهكذا الأمر في جميع التفاسير، فقد وجد عند الجميع بعضٌ من المثالب ما جعله يذهب ببريقه وبهائه.

والسؤال بعبارةٍ أوضح الآن: هل توفرت في المفسرين الشروط التي وضعها العلماء لكل من يريد تفسير كتاب الله؟أم هل تمتعوا بها ثم بدأوا في الشروع فيه؟ والجواب بالنفي دائماً، ولكن هل كان عدم تمتعهم بها مانعاً لهم دون التفسير؟ والجواب أيضا بالنفي. لقد كانت تلك الشروط سيف ترهيبٍ لكل مَن يريد أن يقدم على هذا الأمر الجليل، كي لا ينبري للعمل كل أحد.

إن التخصص الذي استُحدث في الحياة العلمية اليوم جعلت العالم ضليعاً في فنٍّ دون جميع

26 الرازي، أبو عبدالله محمود بن عمر، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط3/ 1420، 26/ 389 .

27 ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية/ تونس، ط / 1984 ، ج 23/ 252 .

28 هو ابن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، بيروت/ لبنان،د. ت ، 4/ 449 .

29 فمثلًا كلاهما وغيرهما يوردون في نهاية كل سورة ما سمي بحديث فضائل السور، وه – الحديث- موضوع باتفاق أهل العلم.ينظر: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ت أحمد هاشم،دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ط1/ 1985 ،1/ 239 ، نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق/ سوريا،ط3/ 1981، ص .310

الفنون، وفي علمٍ دون جميع العلوم، بل اكتفى بإلمامةٍ عامةٍ يكاد أن يسد رمق حاجته، دون الإشباع، بله الإبداع. فالمتخصص في الفقه وأصوله لا يحيط علماً بدقائق البلاغة وفنونها، والبليغ لا يجيد فن التعامل مع القواعد الفقهية والأصولية، ومن ثم استنباط الأحكام من خلالها. والمتخصص في علم الحديث قد يعجز عن تحرير مسألةٍ نحوية أو صرفية، وهكذا....

فإذا أضفنا إلى كل هذا المسائلَ العلميةَ التي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، تصريحاً أو تلميحاً، والتي تتعلق بالإنسان والكون من حوله، وما يتعلق بالبحار والمحيطات والجبال...فإن الأمر يتسع كثيراً، وأمر الإحاطة بها والضلوع فيها يصبح ضرباً من الخيال .ولذا رأينا العلماء اليوم يحجمون عن الخوض في مثل هذه المسائل؛ خشية الوقوع في الخطأ.[30]

لهذه الأسباب وغيرها كانت الحاجة إلى تفسير جماعيٍّ في غاية الأهمية.

الفصل الثالث: في التفسير الجماعي

المبحث الأول:

التخصصات **الواجب توفرها**:لا شك أن عملا كبيراً مثل التفسير، في هذا العصر، يحتاج إلى تفعيل جميع التخصصات التي لها علاقة، قريبة أو بعيدة، بالقرآن الكريم؛ كي تكون الثمرة من أطيب ما تكون. والتخصصات التي ينبغي أن تتوفر هي عبارة عن مجموعات علمية وهي:

أولاً: مجموعة التخصصات الشرعية، وتضم التخصصات التالية:

1 – التفسير

2 - الفقه وأصوله.

3 - الحديث الشريف وعلومه.

4 - العقيدة وعلم الكلام.

5 - السيرة النبوية

ثانياً – مجموعة التخصصات في اللغة العربية، وتضم المتخصصين في:

1 – النحو

2 – الصرف

3 – البلاغة

4 – المناهج اللغوية الحديثة.[31]

ثالثا: مجموعة العلوم التجريبية:وتضم المتخصصين في

1 – علم الفلك

30 الذين يتحدثون – اليوم – عن الإعجاز العلمي أكثرهم لم يدرسوا العلوم الشرعية.

31 على الرغم من أن مناهج الحداثيين بمجملها باطلة إلا أن الرد عليهم لا يؤتاه أي إنسان ، بل لابد من علماء أحاطوا بها خبرا.

2 – علم البيئة وتشمل البحار والجبال والتربة والنبات

3 - علم الطب البشري

رابعا: مجموعة العلوم الإنسانية،وتشمل:

1 – علم النفس الإنساني

2 – علم الاجتماع الإنساني

ولا شك أن كل علم من العلوم السابقة قد تفرعت وتنوعت إلى أقسام عدة، وينبغي أن يكون المتخصصون من أهل الخبرة والدراية، وإلى جانبٍ كبيرٍ من العدالة وسلامةٍ في السيرة والسريرة، فهذا مما اتفق عليه العلماء وأهل العلم. يقول السيوطي- عن الإمام أبي طالب الطبري قوله في أدوات التفسير: اعلم أن من شروط صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين...- يقول:(والمقصود: أن يكون على عقيدة السلف الصالح، عقيدة الصحابة والتابعين ومن بعدهم العلماء الذين وضعوا الأسس لعقيدة الأمة، ودونوها في مصنفات حفظت على مرِّ الأيام، ونقصد بهم أهل السنة فهم الأمة وهم السواد الأعظم).[32]

المبحث الثاني: آلية العمل:

إن العمل في تفسير كتاب الله يتطلب جهداً كبيراً ومساعي حثيثة، والعمل بالشكل الذي رُسم يحتاج إلى تكاتف الجهود، لاسيما الدولة التي سترعاه، ووتتبناه من أوله إلى آخره. فالدولة معنية بتمويل العمل وتزويد المؤسسة بكل ماتحتاجه من آلياتٍ تتمثل في المكان المناسب والأجواء المريحة، وتلبية متطلبات العمل، سواء منها ما يتعلق بالأفراد أو بالعمل، من خلال توفير مكتبةٍ شاملةٍ لكل ما كُتب في التفسير أو ما يتعلق به، ومن جميع الأعصر والأمصار، إضافة إلى الأجهزة المخبرية والأفلام التي تشرح بعض القضايا العلمية، فكلها تصب في مجرى تبيين كلام الله. وسوف تكون هذه المجموعات كخلية النحل، يعملون بروح الفريق الواحد والنَّفَس الواحد، بعد أن وضعوا منهجا عاماً يسيرون عليه، وبهديه يعملون. يقول عليه الصلاة والسلام: (فمن أراد منكم بحبوحة الجنة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.)[33]وفيما يلي صورة تقريبية لهيكلية المؤسسة.

32 الإتقان في علوم القرآن، 4/ 200

33 ابن حبان البستي، صحيح ابن حبان،كتاب السير، باب طاعة الأئمة، ت شعيب الأرناؤوط، 15، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، ط1/ 1988، 15/ 122(6728).وكذلك رواه النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب،ت حسن عبدالمنعم شلبي،/ مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان،ط1/ 2001، ج 8/ 284(9177).

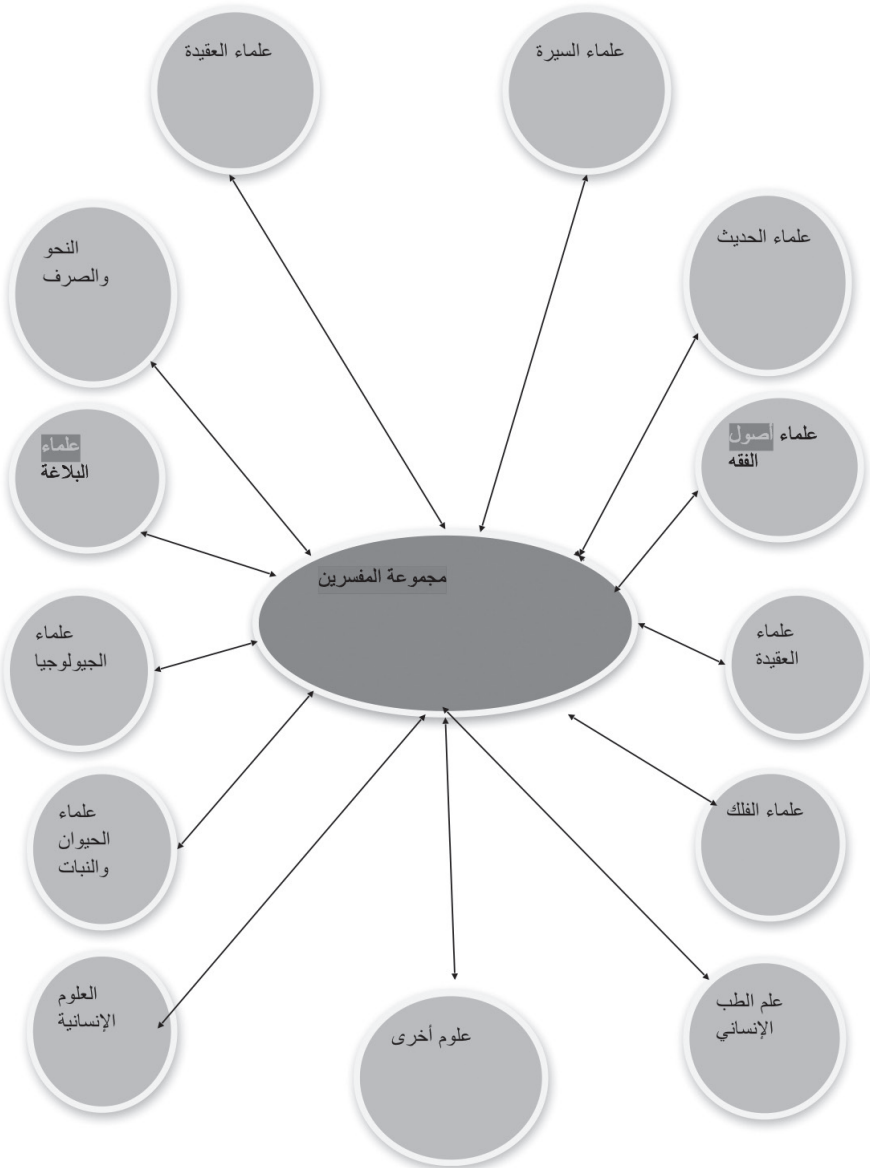

وههنا ينبغي أن يكون علماء الشريعة محور هذه الدوائر، وأن المفسرين هم قطب الرحى، فكل ما يُكتب ينبغي أن يُستشاروا فيه، والكلمة الفصل لهم، بعد أن جمعوا المادة وقلبوها على وجوهها، وبعد أن استمعوا إلى أهل الاختصاص، وأحاطوا علماً بتفاصيلها وجزئياتها، ليصوغوها بقلم المفسرالذي يفسر للناس كتاب ربهم.

ثالثاً: قيمة التفسير العلمية:

لكل عملٍ غاية، ولكل جهدٍ ثمرة، والثمرة المرجوة من هذا العمل عظيمة بإذن الله، فسوف يصل هذا التفسير إلى كل مكان، وذلك بعد ترجمتها إلى جميع لغات العالم الحية .

إن التفسير الذي عكف على العمل فيه، كبار علماء العالم الإسلامي، سوف يكون شاهداً صادقاً لعصره الذي وُلد فيه، وسوف يكون وثيقةً مهمةً للحركة العلمية والفهم الإسلامي لكتاب الله - سبحانه - ، فعندما ندرس منهج مفسر ما في تفسيره نقرأ بين يدي منهجه البيئة التي عاشها، ومن النواحي السياسية والعلمية والاجتماعية والعلمية...لنرى بأن كل تلك المصطلحات قد أثرت فيه، وأنه ابن بيئته، وأن للبقاع تأثيراً في الطباع، وعندئذٍ نعلم أن هذا التفسير جهد إنسانٍ قد أثرت فيه عوامل كثيرة، وهو يفسر كتاب الله، ولا شك أنها سوف تؤثر في فهمه وتعبيراته، وكل ما أودعه في تفسيره فهو نتاج فكره وعصارة جهده من سني عمره في التدبر والمدارسة وهو - وحده - الذي اختار ودوّن ورجح وضعَّف، ولذلك سوف نرى - دون شك - بعض الهفوات والزلات من أنانيةٍ وبدعيةٍ وعصبيةٍ، أو حتى التي تصدر عنه من غير قصد، أو عن طريق النسيان... والتي لا يتجرد عنها أحد، بخلاف العمل الجماعي، الذي سيكون لحظوظ النفس أدنى مراتبها من تلك العيوب؛ فسوف يخضع كل ما يُكتب لقراءة أعضاء المؤسسة ومراجعاتهم المتكررة، والتي ستَحُوْل دون وجود مثل هذه الهفوات والزلات.

المنهج المقترح للتفسير:

دأب المفسرون الذين فسروا كتاب الله أن يضعوا أمام أعينهم منهجاً واضحاً يكون الخط العام الذي سوف يسيرون عليه، وقد رأيناهم قد سلكوا مناهج مختلفة، فبعضهم فسّر بالرأي وآخرون بالمأثور، وهناك من زاوج بين ذينك المنهجين.وفي التفسير الجماعي الذي نقترحه(ودائما هي اقتراحات)، هو:

أولاً- أن يجمعوا بين المأثور والرأي، أقصد المزاوجة بينهما، وأن يستفيدوا من الأخطاء التي وقع فيها السابقون، وهي نسبية بين المفسرين من حيث النوعية والكمية، وهذا لا يعني البتة التقليل من شأنهم، بل تجنب ما أُخذ عليه المتقدمون، وعلى سبيل المثال:

في المأثور: إن كان مما هو مجمع عليه، فيذكرونه دون زيادة أو نقصان.

وإن كان مما اختلف فيه اختلاف تضادٍّ، وهوقليل، فيُكتفى بالصحيح ولا يذكرالمقابل إلا لحاجة شديدة .

وإن كان اختلاف تنوع، فإنه يُذكرالأرجح أولاً، ثم يُردف بالأوجه الأخرى بصيغة التضعيف والتمريض، ويُذكر هذا في المقدمة؛ كي يُسّهل الأمر على القارئ.

- الروايات الموضوعة لا تُذكرالبتة، وكذلك الإسرائيليات، وأما الضعيفة فلا يوردونها إلا للضرورة الشديدة، مع ذكر علتها- سنداً و متناً- في الحاشية.

- وفي المعقول: ألا يُكثروا من الأوجه الإعرابية، بل الاكتفاء بالأرجح إلا لضرورة ما.

- ألا يكثروا من ذكر الاختلافات الفقهية وأدلة المذاهب، فهو ليس كتاب فقه مقارن، بل تُذكر الأقوال والآراء بشكل مقتضب، دون ذكر الأدلة، وفي مواضع مهمة تحتاج إلى معرفة الآراء.

- أن يتجاوزوا الاختلافات في علم الكلام التي تجاوزها العصر(هذا العصر)، فإيراد آراء المعتزلة والرد عليهم شغلت مساحةً كبيرةً في بعض التفاسير، واليوم لا يوجد من ينتصر لآراء المعتزلة، فلا حاجة تدعو إلى ذكرها، بل ربما نحتاج إلى ذكر غيرهم، لأن التفسير - كما قلنا - سيكون وثيقةً لهذا العصر، من حيث الحركة العلمية والفكرية، والذي يكون كتاب الله حجتهم ومرجعيتهم - كما يزعمون- كذكر البهائيين والقاديانيين والقرآنيين، وربما المدارس الحديثة كالحداثيين ومناهجهم ، ودائماً بشكل مختصر وبعباراتٍ واضحة.

التفسير العلمي:

يجب التنبه إلى موضوع التفسير العلمي والاضطلاع على آخر الاكتشافات، ومعرفة ما أضحت حقيقة علمية مسلّم بها، وما هي عبارة عن نتائج أولية، أو نظريات قد يطرأ عليها التغيير والتبديل، ففي الحالة الأولى تعتمد الجماعة تلك الحقيقة وتدونها في التفسير، الذي سيبقى خالداً، وأما الثانية فتوردها بصيغة التضعيف والتمريض، ولا ضير إنْ اكتشفت الأيام ما يبطلها ويزيفها، وعذرهم أنهم أوردوا المعلومة بصيغة توحي إلى عدم الجزم بها.

أسلوب الكتابة:

لأن التفسير سوف يتداوله كل الناس، العلماء وأنصاف العلماء والعوام، فإنه ينبغي على اللجنة أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، فلا يحتمل التفسير الإتيان بالغريب والحوشي من الكلمات، بل بلغة سهلة سلسة شيقة تجذب الناس وتحببهم إلى كتاب ربها، فالمأمول أن يفهم الناس – اليوم - ماذا أراد الله منهم من خلال هذا الكتاب.

اختصار التفسير:

بعد الانتهاء من هذا العمل الجليل والجهد الكبير يُطلب من اللجنة أن تعمل على اختصار هذا التفسير، وذلك باعتماد المختار والراجح في كل أمر، دون ذكر التفاصيل ولا الأقوال الكثيرة؛ فثمة من يحب الاختصار ويستثقل الأحجام الكبيرة، لا سيما وأن المتوقع أن يبلغ التفسير مجلداتٍ عدة، أما ههنا فلا أكثر من مجلدين اثنين.

وأخيراً:....

إن هذا التفسير(الجماعي)لن يكون بديلاً عن التفاسير السابقة ولا اللاحقة، فباب التفسير مفتوح لكل عالم، شريطة أن يتسلح بتلك الضوابط والشروط ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ويستطيع أي عالمٍ أن يعود إلى التفسير الجماعي لينهل منه مايريد؛ فالعلم ملك جميع، يؤخذ منه ما يؤخذ، ويرد منه ما يُردّ، إذا كان العالم ذا شخصيةٍ حرة حاضرةٍ في ما يأخذ ويذر.

الخاتمة

وهكذا وبعد أن عشت مع البحث وعاش فيَّ،لابد قبل أن أضع القلم أن ألملم شتاته وأختصر ماجاء فيه من خلال :

الخاتمة

فأقول:

- إن الحاجة إلى تفسيرٍ يجتمع عليه كبار العلماء، ومن مختلف الاختصاصات، ماسةٌ وملِحةٌ،
- إن التفسير الجماعي ضرورة عصريةٌ بعد الثورة العلمية التي عمّت جميع مناحي الحياة، وبعد التغيير الذي حصل في الحركة العلمية والمؤسسات التابعة لها، من حيث التخصص في علمٍ واحدٍ دون سائر العلوم.

- إن التفسير سيكون نتاج العصر الذي وُلد فيه، وهو وثيقةٌ مهمةٌ للتاريخ العلمي، حيث يبين لنا آخر ماتوصل إليه العقل الإسلامي في فهم كتاب الله.

- إن هذا التفسير سيغدو مرجعاً مهماً فيما بعد، وسوف يملأ فراغاً في المكتبة الإسلامية.

- إن خيره سوف يكون عميماً لكل الناس، وبمختلف مستوياتهم الثقافية.

-إن العمل مكلفٌ، وهو يحتاج إلى دولٍ أو دولةٍ ترعاه، وتتكفل بتأمين جميع المستلزمات، من ماديةٍ ومعنويةٍ؛ لتكون الثمار المرجوة طيبة مقبولة.

المقترحات:

وهذه بعض المقترحات التي جالت في صدري وأنا أكتب في هذ البحث، وأهمها:

- عقد مؤتمرات دولية يكون موضوع العمل الجماعي (المؤسسي) في التفسير عنواناً عاماً لها؛ بغية الوقوف على الأفكار والآراء والطروحات التي سيقدمها المشاركون، ومن ثَمَّ صوغ رؤيةٍ واضحةٍ حول هذا المشروع، ليتم بعد ذلك مخاطبة الدول والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي .

- يُراعى في معايير قبول العلماء في الاختصاصات المختلفة البعدُ الجغرافي للعالَم الإسلامي، ففيه الفائدة الكبيرة التي لا توجد إذا لم يُراع الأمر، وتم الاكتفاء بمنطقةٍ معينةٍ أو بلدٍ واحد.

- ينبغي ألا تخضع هذه المؤسسة لأي شيءٍ ليس له علاقة بعملهم من الناحية العلمية، لاسيما التأثير السياسي لجهةٍ ما.

- العمل على أن يكون هذا المشروع دورياً يفصل بين الأول والآخر نحوٌ من ثلاثة عقود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

ابن حبان البستي، صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرناؤوط، 15، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، ط1/ 1988.
ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، بيروت/ لبنان،د. ت .

ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية/ تونس، ط / 1984 .
ابن منظور، لسان العرب، ، بيروت/ لبنان، ط3/ 1414 .
أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان،د. ت .
أبو داود ، السنن، ت شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العلمية، ط/ 2009.
الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن الكريم، ت السيد أحمد صقر، دار المعارف/ مصر، ط5/ 1997
البركتي،محمد عميم الدين، قواعد الفقه الكبرى، دار الإفتاء،كراتشي/ باكستان،ط1407/1 .
البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،بيروت/ لبنان، ط1/ 1418 .
خالد السبت ، قواعد التفسير، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1421/1 .
الرازي، أبو عبد الله محمود بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط3/ 1420.
الرافعي ، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9/ 1973 .
الزرقاني محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،ط3/د.ت، 60/2 .
الزركشي، أبوعبدالله بن محمد، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي، القاهرة/مصر، ط1957/1
السخاوي شمس الدين، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ت محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1985/1.
السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ت أحمد هاشم،دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ط1/ 1985 .
السيوطي،عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/1974.
علي العبيد، أصول التفسير وضوابطه، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط2010/2.
فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،إدارة البحوث العلمية، السعودية، ط1/ 1986 .
فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الناشر مكتبة التوبة/المملكة العربية السعودية،ط1419/4 .
القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة راشدة، دار الشروق، القاهرة/ مصر، ط/ 2001
القطان مناع ، مبحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشرط 2000/3.
محمد رشيد رضا، تفسير المنار،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط 1990 ، 17/1
محمد ناجي عطية، البناء المؤسسي في المنظمات الخيرية، الواقع وآفاق التطوير. شبكة صيد الفوائد .
مصطفى عبدالرازق، التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الكتاب العربي/ القاهرة، ط/ 2011.
مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق/سوريا.
مقدمة تفسير البسيط للواحدي (رسالة دكتوراه) المقدمة ، 1-30
المناوي زين الدين، عبدالرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، ط1/ 1356.
المودودي، المودودي، أبو الأعلى، الموجز في تاريخ تجديد الدين، دار الفكر الحديث، ط2/ 1967.
النسائي، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب، ت حسن عبدالمنعم شلبي،/ مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان،ط1/ 2001.
نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق/ سوريا،ط3/ 1981.